مجلة اللغة الوظيفية:Issn 0967-2437 المجلد8،العدد1 2021

الشخصية الروائية بين الحضور الواقعي والانفصال الزمني

مقاربة نقدية في مضمون رواية "اكتشاف الشهوة لفضيلة فاروق"

The novelistic character between a real presence and a temporal separation

A critical approach in the content of the novel "The Discovery of lust" of Fadila Farouk

منيرة نوري*

[1] جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)

مخبر علوم اللسان،

Mounimouni2828@gmail.com

تاريخ الإرسال:2021/04/23	تاريخ القبول:2021/05/20	تاريخ النشر:2021/06/25

الملخص بالعربية:

عنيت رواية اكتشاف الشهوة لفضيلة فاروق في مجملها بالجانب السيكولوجي للشخصية، حيث اندمغت في أغوارها النفسية، وأضاءت دواخلها من خلال تعرية المكبوتات البشرية، والكشف عن الجوانب الشعورية واللاشعورية فيها.

ودراستي لمضامين الشخصيات السيكولوجية والحفر في الجانب المظلم فيها أملت عليّ الاستناد إلى المنهج النفسي التأويلي مستكشفة الدلالات الكامنة التي تمثل الجزء الضعيف في النفس البشرية المتسترة بهوية مناقضة لما هي عليه.

لذا لابد من التركيز على الجوانب الفردية للشخصية وتبيان مدى تفاعلها مع المتغيرات الثقافوية والسوسيولوجية والإيديولوجية التي تسفر عن تمزقات حسية بين الوعي واللاشعور.

* المرسل المؤلف

الكلمات المفتاحية: الشخصية الروائية، الصراع النفسي، الذات السيكولوجية، الوعي، اللاشعور، الغيبوبة.

Abstract

The novel "The Discovery of lust" of FadilaFarouk is concerned in its entirety with the psychological side of the character, as she immersed into its psychological depths, and she illuminatedits interior by exposing human repressions and revealing theconsciousand unconscious aspects in it.

I hoped throughmy study of the contents of psychological characters and digging into the dark side in them to rely on the psychological hermeneutic approach, exploring the underlying connotations that represent the weak part of the human soul which is concealed with an identity contradictory to what it is.

Therefore, it is necessary to focus on the individual aspects of the character and to show the extent of its interaction with the cultural, sociological and ideological variables that result in sensory tears between the consciousness and the unconsciousness.

Key words: Novelistic character, psychological conflict, psychological self, consciousness, unconsciousness, coma

توطئة:

تتظافر أنماط الشخصيات الروائية ضمن مكونات العمل السردي لتشكل عملا روائيا تصطبغ من خلاله سمات وملامح تكشف عن عوامل غامضة، تقرر في منطق صيروراتي وتخيلي يعبر عن صدق فني ترسم عبره خطوطا مستمدة من نماذج واقعية، تضمر حركات ملغمة بالغرائز اللاواعية الباهتة لتمثل الجزء المظلم للشخصية الذي يجب الاعتراف به، حيث اشتغلت أحداث الرواية على فضاءين متباينين؛ فضاء واقعي منغلق يبطن دلالات تفرز جملة من الإحساسات الإيديولوجية المجتمعية، تنبعث من الإحساس بالذل والعدمية والقسوة التي ولدت لدى الشخصية اغترابا وجوديا ذاتويا جراء الظلم الاجتماعي والأسري، فجعل منها شخصية مرأوية تعيش التناقض الوجودي، وفضاء افتراضي ينطلق من التخييل الهذياني خارج متاريس العقل الغيبوبية، التي ألمّت بشخصية باني بسطانجي بطلة الرواية، حين تعرّض بيتها للانهيار، فانجر عنه فقدانها لوعيها لمدة ثلاث سنوات، أدخلتها في غيبوبة فواصلت علاجها في مستشفى الأمراض النفسية بقسنطينة.

ولجوء الكاتبة لمثل هذا النمط من السرد الفنتازي ينطلق من أسباب سوسيوثقافية تحاول من خلال سرديتها الروائية تعرية المجتمع العربي والجزائري على وجه الخصوص من العقد النفسية، منتحلة جسر

تواصل بين واقع السرد وعالم التخييل الهذياني لتصور بذلك فعلا إنسانيا متناقضا للإنسان العربي واقعه مخيف وخانق، أما افتراضيا فهو رغبة منها في العيش في هكذا ظروف من خلال شخصية باني، لتفتح للمرأة العربية آفاقا وطموحات تحررها من سلطة البيت والمجتمع، فقد استحوذت أفكارها على الجنسانية واحتكرتها في ذهنها ومخيلاتها لتبرهن أن "بعض فئات الموجودات هي بطبيعتها حاكمة وبعضها الآخر هي بالطبيعة أيضا محكومة تماما مثلما أن أحد جوانب النفس (العنصر اللاعقلي)، يخضع للجانب الآخر (العنصر العقلي)، وعلى ذلك فالطبيعة التي لا تفعل شيئا باطلا ولا عبثا، هي التي فرضت على جنس الإناث أن يخضع لجنس الذكور لأن القوة العقلية أقل، والعنصر اللاعقلي كالانفعالات والشهوات والعواطف ... إلخ يطغى عليه" (إمام، 1996) ، فيمكن من خلالها التعرف أكثر على الذات الشخصية والغوص في أغوارها البشرية وملامسة مستوياتها النفسية من خلال التعرف على ماهية الشخصية.

ماهية الشخصية:

1/ الشخصية من منظور علم النفس:

ترتسم ملامح الشخصية السيكولوجية بالتنسيق بين الصفات الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية، وقد عرفها **مورتن برسن (Mortn PRINE1934)** بـ "الكمية الكلية من الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة، وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة" (صالح، 2004)، التي ترتبط بالإنسان وبكيانه الداخلي وبجموع الدوافع السيكولوجة الفطرية منها والمكتسبة والغوص في ترسباتها للكشف عن المفارقات الضدية بين الشعور واللاشعور وبين الضامن والجلي، أمّا **جيلفور**(Gilfore) فيرى بأنها "مجموعة مميزة من السمات" (عويضة، 1996)، التي تعبر عن شخصه وتصرفاته ومظاهره تترجمها الانفعالات النفسية المكبوتة التي تأخذ موقفا معينا اتجاه الواقع.

في حين أن **ألبرت** الذي عدّل في تعريفه للشخصية بعد خمسين محاولة ينتهي إلى أنها "التنظيم الديناميكي داخل الفرد لتلك الأنظمة الجسمانية النفسية التي تحدد تفكيره وسلوكه المتميز" (انجلر، 1991).

وقد تباينت وجهات نظر النفسانيين واختلفت مفاهيمهم، فلم يعد بإمكان الباحثين أن يتفقوا على تعريف جامع للشخصية، لما يعتريه من ضبابية وغموض وتصور ذهني يعرض عوالم داخلية تنبجس عن صراعات بين الهواجس والأفكار المصبوغة، وكردة فعل لمؤثرات خارجية أقل ما يقال عنها مصدر لسلوك إنساني أو مستجيبا لتأثيرات اجتماعية وطبائع بشرية.

2/الشخصية من منظور علم الاجتماع:

اهتم المنظرون الاجتماعيون بدراسة الشخصية انطلاقا من علاقتها بالمحيط الخارجي، إذ لا يمكن عزلها عن المجتمع وثقافته وما ينبثق عنه من عوامل بيولوجية وثقافية واجتماعية تعبر عن عادات الفرد وأيديولوجياته وسلوكه اتجاه الآخر، الذي اكتسب من خلاله مواقف عدت بمثابة "نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبيعي، ويعكس وعيا إيديولوجيا" (بوعزة، 2001)، يشخص التفاعل الاجتماعي مع الغير، ويترجم مواقف اجتماعوية وثقافوية، تضمر أنساقا سلوكية وعاداتية في الوسط الذي تتحرك فيه.

وكردة فعل لمؤثرات خارجية إن لم نقل سلطوية تأتمر لأوامر العرف والعادات والتقاليد فتورث كقانون يجرّم مناقشته، فتعد حسب **لورانس. أ. برافين** بمثابة "تنظيم معقد من المعارف والوجدانات والسلوكيات التي تعطي لحياة الشخص توجها ونمطا (أنساقا) وتتكون الشخصية – مثل الجسم – من بناءات وعمليات تعكس كلا من الطبع (الموروثات) والتطبع (الخبرة)، كما أن الشخصية تمثل آثار الماضي، بما في ذلك ذكريات الماضي وبناءات الحاضر والمستقبل" (لورانس، 2010) ، فتتحقق بذلك نظما اجتماعية تشبع حاجاتها الثقافية بشكل عام، يضمن لها تحرر السلطة الطبيعية، والإصرار على العمل العقلاني، تُكتسب من خلال التنشئة المجتمعاتية والانتمائية وفق شبكة علائقية بين الفرد وبيئته.

تيمات البعد النفسي للشخصية وتجلياتها في الرواية:

بما أن الرواية تنضوي على شخصيات ذات كثافة سيكولوجية، تنم عن صراعات داخلية، تتولد عن إثرها أزمات بلورت تداعيات نفسية فقدت الشخصية من خلالها تواصلها مع ذاتها، ممزقة بين الشعور واللاشعور، سيما الشخصية البطلة (باني بسطانجي) التي ترنحت بين امتداد الماضي المأساوي والحضوري والانفصال الزمني الذي حطم وجودها وأفقدها ذاتها ومدركاتها الخارجية، بدخولها في غيبوبة طويلة المدى لمدة ثلاث سنوات، جعلتها تعيش في مفارقة بين الحياة والموت، وتحس باغتراب ذاتي؛ زمانيا ومكانيا، أدخلها في صراع نفسي تكابد من خلاله تناقضا محتدما "بين قوتين إحداهما دافعة والأخرى مانعة، وكثيرا ما يجد الإنسان نفسه أنه لا يستطيع أن يشبع إحداهما خوفا من أن يؤدي هذا الإشباع إلى الوقوف في صعوبات لا يرضى عنها المجتمع" (الداهر، 2008) ، قد تجلى صراعهما من خلال علاقتها بالمجتمع كأنثى متشظية الأحاسيس أو من خلال علاقتها بأهلها، سواء أبيها الشرطي المتسلط الجداري، أم أخيها الذي كبّل أبسط حقوقها الحرياتية، مما جعلها تعيش حالة من القهر والدونية والتهميش الأسري، ومما ذر الملح على الجرح معاملة أمها السيئة لها و تعنيفها إياها في كثير من الأحايين ولأتفه الأسباب.

مما أودى بها إلى نسج عالم ذاتوي خاص بها تمنّي به نفسها وتحلم بعالمها الافتراضي رغم صغر سنها، إلا أنها لم تستسلم للقوى الخارجية القاهرة واستطاعت تحدي المجتمع لتكون كاتبة مؤلفة تتمتع بحرية ولو تخييلية.

لقد تميزت شخصيات الرواية بأنماط سلوكية وإدراكية تنم عن الاختلافات الفردية بينها، فمنها ما هو سوي تأكد اتصاله ذاتويا واجتماعيا، ومنها غير السوي المنبجس من عتمة الوحدة التي تبعث على الانفصال عن ركام الواقع والمفارق لبيئته، حيث "تتشكل الشخصية اللاسوية كدال ومدلول حواري، ملتبس لا يكشف بسهولة عن السوي فيه، إذ تبدو اللاسوية هوية لهذه الشخصية، ترفضها الجماعة، أو تتعامل معها، هكذا يبدو الأمر في قراءة للظاهر، إلا أن هذا اللاسوي إذ يضمر سويته أو يحاورها، يجعلنا نتبين أنه هو السوي المرفوض" (العيد، 2011) ، فتبدو الشخصية البطلة مغتربة بكينونتها معادية لعالمها الخارجي تستشرف كل ما هو مكبوت يلامس مستوى اللاشعور.

وتتبدى التيمات اللاشعورية المتخفية في شخصيات الرواية والحاملة لأفكار وذكريات مدفونة والملغمة لمكنونات ضمنية غير سوية فيما يلي:

1/ الصراع النفسي:

انبجس الصراع النفسي لدى شخصيات الرواية عن نوعين من الصراع، منها ما هو خارجي؛ ويكون بين الشخصية والمحيطين بها في مجتمعها، حين تنكرت باني لمجتمعها، لما مورس عليها من عنف جسدي ولفظي نجم عن التهميش الأسري والاجتماعي، فقد عوملت المرأة كحيوان ناطق مسلوب الهوية، ما جعلها تتنكر حتى لجنسها منذ الصغر، وهذا ينم عن إدراكها ووعيها لما يجري حولها، فقد كانت تشعر بالدونية في مجتمع ذكوري أثر على باطنها النفسي ونوازعها الداخلية وتدفقاتها الفكرية وميولاتها وما يدور في ذهنها من رؤى داخلية، مُقرّة "كانت رغبتي أن أصبح صبيا، وقد آلمني فشلي في إقناع الله برغبتي تلك، ولهذا تحولت إلى كائن لا أنثى ولا ذكر ولا هوية لي غير الغضب الذي يملأني في اتجاه العالم بأكمله" (فاروق، 2006) ، بالإضافة إلى تمييز أهلها لأخيها عليها، وتسييده كونه ذكرا، وهذا ما ولد لديها اضطرابات فكرية تعدت مشاعرها وأحاسيسها، لتترجم في أحلام أو هذيان أو غيبوبة تنبثق عن هواجس شخصية منغمسة في التركيز الذهني والخوف والقلق، لتعكس حالتها النفسية سلوكها الخارجي، وكأنها هي من اختارت جنسها أو المجيء إلى هذا العالم المظلم سيما من أقرب الناس إليها والداها، وافتخارهما بتعنيف أخيها لها، فيقف والدها "أمام فعلته مديد القامة فخورا بما حدث" (فاروق، 2006)، وهذا ما زاد من تعقّدها وخروجها عن واقعها العبوس والمؤذي، فعاشت بذلك منفصمة الشخصية بين عالم خارجي وعالم داخلي يتمركز في ذات

الشخصية مشكلا مونولوغا بين الشخصية ودواخلها "مجاله النفس أو باطن الشخصية ويقوم بإدخال القارئ إلى الحياة الداخلية للشخصية، ومن دون تدخل الكاتب" (وتار، 2000)، مشكلا حوارا بين الشخصية وأناها، انبنى على التناقضات والصدمات المشرذمة لذاتها، وعمق لديها إحساسا بالضياع والتشظي، فاختلطت عليها الأفضية بين واقع مغرق في الضالة وخيال تكشفت من خلالها غربتها وتموقعها في الحياة وفقدانها هويتها وعدم تذكرها معلوماتها السيرية وجل الأشياء المألوفة، حيث فقدت باني جانبا ليس بالقليل من حياتها كنسيانها لزوجها مهدي، واقتحام الموتى لذاكرتها وتنكرها إياهم بعد استيقاظها من الغيبوبة لتضع الطبيب في موقف يعجز عن تفسيره مخاطبا إياها "كنتِ متزوجة من مهدي عجاني، وقد ترملت قبل فترة قصيرة من الحادث، سفرك أثناء غيبوبتك، تواصلك مع الأموات، الحياة الأخرى التي عشتها، كل شيء أصدقه منك لكن لا أجد تفسيرات لما حدث" (فاروق، 2006)، هنا تتبين شخصية باني التي عانت صراعا نفسيا أقرب ما يكون جنونا، سبّبه الانفصال الذاتوي عن العالم الخارجي الذي يفقده صاحبه الإحساس الانتمائي، إذ يجعله يعيش في فراغ نفسي تناقضي، وهذا ما ترجمته شخصية باني المضطربة التي عانت ويل الاغتراب.

لم يقتصر الصراع النفسي على صراع النفس مع ذاتها بل تعداها إلى صراعها مع الرجل الذي كان يمثل بالنسبة لها هاجسا ورعبا ألبسه إياها والدها وأخوها إلياس؛ ذلك التنين الخرافي كما نعتته فقد عبرت عن شدة الخوف منه ومن والدها "لا يزالان قابعين في داخلي ولم يختفيا أبدا من مبنى الخوف الذي شيداه في قلبي، حتى وأنا هائمة في شوارع باريس ينتابني شعور غريب بأن أحدهما يتعقبني ويراقبني" (فاروق، 2006)، حيث مثلت معادلا بين الواقع والتخييل وبين الشك والحرية الزائفة، التي أوقعتها في شباك رجال آخرين، كانت تعتقد أنها استقلت من مخاوفها الأسرية والزوجية لتعيش في أحضان رومنسية في بلاد الحرية، كما يخيل للكثيرين وإذا بها تقع رهينة جسدية لشخصية سيكوباتية أشد شراسة مما فطرت عليه، ومن زوجها السيكوباتي الذي تطاول على حدود جسدها ودينها وإنسانيتها بالرغم من أنه مسلم كما يدعي، محاولا مضاجعتها وهي صائمة فتصف حقاراته "سأضاجعك أيتها القح... سأثبت لك أن لا رب في هذا البيت غيري...سأضاجعك وأضاجع باباك وأمك أيتها الرخيصة، يزداد صراخي...فإذا بالباب يدق، يقوم عني، ويبصق عليّ قبل أن يتوجه نحو الباب ليفتحه" (فاروق، 2006) ، هذا الزواج الذي أُرغمت عليه من قبل أهلها، فجسدها معه لكن قلبها مع غيره، حيث تتقزز منه ومن اقترابها منه ومن رائحة فمه الكريهة، وتشتاق لغيره حتى وإن كان جنسانيا كغيره من الذكوريين العرب أو الغرب إلا أنه أشبع غريزتها وجعلها تعيش في عالمها الافتراضي معلقة بهواه، بمجرد أن قبّلها "قبلة الصباح الماطر، والبرد الذي غامر من أجل حفنة من الدفء، والرضاب الذي سقى شتائل الشهوة وأيقظ كل شياطين الدنيا لإقامة حفلة تنكرية مجنونة

في سهل مقفر" (فاروق، 2006)، تتنقل شخصية باني المنفصمة بين واقع أليم مقرف وواقع متخف أقرب ما يكون إلى الخيال، ترتاح فيه وتطلق العنان لمشاعرها وشهواتها ولو للحظات.

لو عوملت المرأة العربية بمودة ورحمة لما لجأت إلى الحرام أو الغرباء بحثا عن الرقة والحنان والأحضان الشجية الكاذبة في معظمها، فذكورة العربي لم تُنم عن فحولة بقدر ما خلّفت انحرافا أخلاقيا علنيا في الغالب وسريا في أرذل الأحوال، مما ولد لديها صراعا ذاتويا بين عواطف متناقضة، أودت بها إلى ردود أفعال متباينة، لتظلمها ما جعلها تنقب عن تفسير مقنع لكونها أنثى مسوغة إلى إصدار أحكام معيارية لمجتمع ضد نسوي مغتصب مقارنة بالمجتمع الغربي الأخف ضررا.

فقد كانت شخصية باني تترنح بين المصحة النفسية في غيبوبتها التي تحاكي الموتى وبين واقعها الذي سخر منها ومن كينونتها كذات مثقفة فاعلة في المجتمع، والسخرية من قدرها كونها ترملت وأصبحت في نظر العديدين مباحة لانكسار تابوه الشرف لديها، وهذا ما تترجمه عنها الثقافة العربية العرجاء.

الأحلام والكوابيس:

"أي حلم يحوي؛ بحسب النظرية الفرويدية، رغبة مكبوتة في اللاشعور وكل موجود عاش فترات أمنية، لا يفلح في أن يتذكرها، إلا لقاء شعور حاد بالألم، فهو يبحث عن إلغاء هذه الانبعاثات، انبعاثات الذكرى من شعوره" (أبراهام، 1998) ، بالحصار المفروض، على الشخوص، حيث يعوض عليهم نقائص حياتهم ويحقق رغباتهم، وقد كانت باني تهرب من واقعها إلى أحلامها الرؤوفة مقرّة "تورطت في أحلام اليقظة لتصبح مشكلتي الكبرى، أحلم وأنا أدرس، أحلم وأنا آكل، أحلم وأنا أمشي، أقطع الطريق وأنا ساهية...وأنجو من ألف حادث في اليوم، أخترق الشبابيك التي أصبحت مغلفة بأحلامي أخترق حراسة(إلياس) لي، أخترق النظرات التي تلاحقني في الشارع، أحلم... كجدتي صرت، أتقبل أكاذيبي على نفسي، وأعيش حياة منطلقة في مدينتي الفاضلة التي لا وجود لها" (فاروق، 2006) ،لتحمي رغباتها البدائية وحواراتها الداخلية التي تنجو بها من سلطة أسرتها وسلطة المجتمع، سواء كان الحلم رؤيا أو يقظة، يبطن عن مكبوتات لا شعورية مرفوضة في الواقع الشعوري وتكشّفها في اللاشعور وفي الأفعال اللاإرادية متسللة إلى الأحلام، فقد كانت باني تفر من واقع زوجها المرير إلى أحلام تثير فيها غرائزها الجنسية، بالرغم من تكهرب علاقتها بزوجها إلا أنها لم تبال ونامت وهي تحلم "بيد باردة تمر على بعض المواضع" (فاروق، 2006) تحقق من خلاله ما عجزت أن تحظى به في الواقع من رجل محب عطوف، وبالتالي فالحلم ينطلق من دافع واقعي صعب تحقيقه وانحبس التفكير فيه، إذ كان للحلم الدور الإيجابي في التنقيب عن بواطن النفس السوية والكشف عن مشاعرها، وإبراز آمالها في حظوتها بمكانة تكيف بإنسانيتها، انطلاقا من الجانب المظلم الذي صورته

شخصية البطلة باني، وغربتها النفسية التي جعلت منها شخصية مضطربة تتجاوز الواقع لتعيش في غيبوبة تتملص فيها من عنته وتعنته وتظلمه تجاهها، مسوغة أحلاما وحالات ذهنية مضطربة، نجمت عن صراعات بين الأفكار والهواجس وتصورات قامعة في ذهنها، منها ما هو ضمن حيز الشعور ومنها ما تعداه إلى مستوى اللاوعي والكشف عن الرغبات المكبوتة التي تعانيها الشخصية النابعة في معظمها من الكبت النفسي "الذي يشتمل على الوظائف المكبوتة الخاصة بالهو، وهو ما يعرف عند فرويد بالجانب الخاص بالغرائز من النفس وهو ما سمي في اللاشعور الذي يشتمل على الدوافع والرغبات البدائية، وعلى الذكريات، والصور والنزاعات التي تثير القلق إلى حد كبير، ولا يمكن قبولها عند مستوى الشعور" (شاكر، 1992)، لأن حالة الأحلام تعد منفذا تحقق من خلاله الشخصية رغباتها الخفية، فتمثل حلا وسيط بين الرغبات المتصارعة فقد عمدت الروائية إلى اللجوء إلى الحلم تفاديا للوم المجتمع على أفكارها الجريئة حين تقابل شخصيات لا وجود لها في الواقع وتؤسس علاقات معهم، تفصح عما يدور في نفسها من غياهب وخلجات تسبب "تعكر المزاج المؤلم والعميق وانعدام الاهتمام بالعالم الخارجي من خلال فقدان القدرة على الحب وتعطيل أي إنجاز والحط من شأن الإحساس والكبرياء والذي يسفر عن نفسه باللوم وتأنيب الضمير وامتهان الذات، ثم يتصاعد حتى يصل إلى إحساس جنوني بتوقع حدوث عقوبة ما" (فرويد، 2017) ، ليرسم هالة تفصل الذات عن واقعها في حالة النوم، تنتقل فيها من الواقع إلى الحلم متجاوزة بذلك يقظتها، كما تتجاوز عالم القوة إلى عالم الفعل الرؤيوي المتصل بالدواخل اللامرئية والانفصال عن الواقع، والارتباط بزمن قد يكون استذكاريا أو استشرافيا لتنسج طبقات الوعي الدنيا.

الهذيان:

تصور الرواية حالة من الهذيان الذاتي لشخصية متأزمة نفسيا وذهنيا، أحدثت اضطرابا بينها وبين مجتمعها وهوة نفسية ولدت اكتئابا حادا جعلها تسلك مسلكا هروبيا، تجاوزت من خلاله مستوى الحياة الاجتماعية، حيث تعرف بأنها "خلل شامل في الشخصية يجعل سلوكها العام مضطربا ويعوق نشاطها الاجتماعي، مما يؤدي إلى زعزعة كيانها وفقدانها اتزانها وتكاملها نتيجة أسباب منها الصراعات النفسية والإحباطات والتوترات النفسية الشديدة وانهيار وسائل الدفاع النفسي لدى الشخصية أمام هذه الصراعات والتوترات ومشكلات انفعالية في الطفولة، وصدمات نفسية مبكرة، واضطرابات اجتماعية وانعدام الشعور بالأمان" (البنا، 2006)، حتى خارج الإطار المجتمعي حيث تعرضت باني لانهيار منزلها أفقدها وعيها، فقد خسرت ثلاث سنوات من عمرها وهي تعاني من اضطراب نفسي بين شخصيتها الحقيقية الواقعية وشخصيتها المريضة المسافرة إلى عالم لم تره في واقعها كمعاشرة الموتى، ما جعل طبيبها يتعجب من حالتها ويصفها بالنادرة فاقت حالة الاكتئاب الحاد فيخاطبها بعد تماثلها للشفاء "هناك شيء في حكايتك

يفوق الطبيعة، وأنا لم أتوصل إليه" (فاروق، 2006)، تملّك باني هذه الحالة النفسية المضطربة لم يكن نتيجة حادث فقط، بل هو أسر لجملة من المشاعر النفسية كالقلق والتوتر والخوف الذي سباه لها أبوها وأخوها إلياس، الذي سكن لا شعورها وأدخلها في حالة هستيرية خفية استقرت في أعماق ذهنها، مما جعلها تصاب بحالة من الذهول، بعدما رأت ما دوّنه طبيبها من حكايات كانت قد عايشتها في غيبوبتها الطويلة، ومن عالمها الذي اصطنعته مخيلتها الذهنية متعجبة "هؤلاء الذين تعج بهم سنتي الوهمية، من أين جاؤوا واقتحموا غيبوبتي وحولوا سكينتي المرضية إلى أيام صاخبة" (فاروق، 2006)، ما جعلها تبلغ حالة من الذهول العقلي اختلط عليها ما هو واع، وما هو غير واع أدى إلى عجزها عن التمييز بين واقعها الحقيقي وواقعها الهذياني، ما جعلها تدخل في نوبة هلع أخرى بعدما تماثلت للشفاء حسب التقرير الطبي، حيث أصفحت عما يختلج ذاتها " لكنني أنام مرعوبة من هذه المخيلة التي تعبث بأيامي، وترمي بي حينا في الجنة وحينا آخر في النار، أنام مرعوبة وأكتب على إيقاع الرعب نفسه" (فاروق، 2006)، فقد عاشت باني مقهورة النفس مترنحة بين ماض واع هزمت فيه كأنثى هيمنت عليها سياط العبودية والقهر، وحاضر ينكسر بين الماضي الملغم والمستقبل المضطرب، الذي شخص حالتها بالمرض النفسي المسفر عن اختلال في التوازن العقلي، ولد عنه انفصام في شخصيتها التي غالبا ما تنتابها هستيريا داخلية، فقد شكلت صداقة مع طبيبها وهي في غيبوبتها، لكن بمجرد صحوتها لم تستطع التعرف عليه "أيقظني الصوت الرجالي من غفوتي، فانتبهت إلى أنه رجل في الخمسينيات من عمره، وسيم وأنيق ويرتدي مئزرا أبيض...آسف لأني أخرتكما كل هذا الوقت، لم يكن في الغرفة سواي نظرت إليه لأستفهم ولكن قال وهو يكتب ورقة ما: وهذا أمر بخروجك اليوم من المستشفى... وهذا توقيعي...وهذا ختمي عليه" (فاروق، 2006)، اختلطت الأمور على شخصية باني فلم تعد تميز بين الواقع والغيبوبة، بين الأشخاص الحقيقيين وبين الذين عاشرتهم معاشرة جنسية في مخيلتها، إذ لفت انتباهنا بأنها أسهبت في علاقاتها خارج الحياة الزوجية، التي تنم عن شهوتها الزائدة، أو حرمانها العاطفي والجنسي سواء في غيبوبتها مع زوجها مود أو في واقعها مع زوجها مهدي عجاني، الذي لم تستطع أن تتذكر منه أي حدث حتى صورته، ليحل محله أيس حبيبها، وتوفيق عشيقها والعديد من الرجال الذين مارست معهم الجنس إشباعا لرغباتها الجنسية، حتى بعد شفائها مازالت تشتاق لقبلات أيس التي أسرتها وجعلتها تعيش أسعد اللحظات وأتعسها في الوقت ذاته "فالشخصية عندما تكبت وتشعر وكأنها مسحوقة بمحتويات لا وعيها وما دون وعيها تصغر ثقتها وإحساسها بنفسها مما يجعلها تشهد حالة من الخوف والاضطراب وتخضع لحالات غريبة يخلّفها لا وعيها" (يونغ، دت)، الذي أسرها بمشاعر ترغبها وأفضية تأتلفها، وإلا لما حافظت على شيء من ذكرياته حتى بعد تماثلها للشفاء .

خاتمة:

تمكنت الروائية من استشعار ذات الشخصية الروائية بكل تجلياتها والاستقرار في داخلها من خلال شخصيتها الرئيسية باني التي أتاحت لها التوغل في ثناياها الذهنية، مضيئة عوالمها المضطربة ومستصيغة حالتها الهستيرية، وتنقلها بين الوعي واللاوعي في لغة سردية أنمت عن براعتها في رسم ملامحها السوسيولوجية والسيكولوجية، وما يرافقها من مشاعر وأفكار متأزمة في طي الغيبوبة واللاشعور، ومن جملة النتائج التي خلصت إليها دراستي أذكر:

- براعة الرواية في التنقل بين السرود النفسية والسلوكات الاجتماعية وما تنطوي عنهما من حالات ذهنية مضطربة.
- توظيف الأحلام وأحلام اليقظة للتعبير عن دواخل الشخصية وحالاتها النفسية.
- الصراع الداخلي والخارجي للشخصية الروائية وما يضمرانه من هواجس وأفكار لا سوية سببه مؤثرات سوسيو ثقافية.
- الكبت يولد الانفجار الذهني المغرق في الوهم والخيال، الذي يعصف بالكيان الداخلي والخارجي، ويفضي إلى خلجات نفسية تغيب بواطن مستوياتها الواعية، واللاواعية وما دون الوعي.
- عرضت الرواية نموذجين لعالم الشخصية؛ نموذج واع أسفر عن المؤثرات الخارجية التي تعترضها والمواقف الاجتماعية التي تشعرها بالعدمية، ونموذج لا واع نتج عن صراعات بين الأفكار والرغبات والهواجس.
- اللجوء إلى العالم الفنتازي لتحقيق الرغبات الجنسانية المكبوتة التي لا تخمد بل تترجم في أفعال لا إرادية وأمراض نفسية تحول إلى منطقة اللاشعور، والمنافية على مستوى الشعور.
- تمكن الشخصية من تعرية أي نقص والتنقيب عن الأنساق الثقافية والاجتماعية في العمل الروائي.
- الشخصية الفصامية تسافر إلى أماكن تأتلفها رغم غرابتها وعدم قدرتها على تذكر ما هو مألوف.
- الشخصية الرئيسية مثلت معادلا بين العالم الواعي على الذات والمنتهك للحريات، والعالم اللاواعي المغرق في الحرية والفنتازية المؤدية إلى الغيبوبة والهذيان.

قائمة المراجع

أ. برافين لورانس. (2010). علم الشخصية. (عبد الحميد محمد السيد، و وآخرون، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

أنور حمودة البنا. (2006). الأمراض النفسية والعقلية. فلسطين: دار الفكر العربي.

باربرا انجلر. (1991). مدخل إلى نظريات الشخصية. (فهد بن عبد الله بن دليم، المحرر) السعودية: دار الحارثي للطباعة والنشر والتوزيع.

حسين الداهر. (2008). سيكولوجية الإبداع والشخصية. عمان: دار الصفاء.

سيغموند فرويد. (2017). الغريزة والثقافة دراسات في علم النفس. (حسين الموزاني، المترجمون) لبنان: منشورات الجمل.

عبد الحميد شاكر. (1992). الأسس النفسية للإبداع الأدبي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد الفتاح إمام. (1996). أرسطو والمرأة. القاهرة: مكتبة مدبولي.

فضيلة فاروق. (2006). اكتشاف الشهوة. لبنان: رياض الريس للكتب والنشر.

ك.غ يونغ. (دت). جدالية الأنا واللاوعي. (نبيل محسن، المترجمون) سوريا: دار الحوار للنشر.

كارل أبراهام. (1998). التحليل النفسي والثقافة مجموعة علم النفس. (أسعد وجيه، المترجمون) دمشق: منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية، مكتبة الاسكندرية.

كامل محمد محمد عويضة. (1996). علم النفس بين الشخصية والفكر. لبنان: دار الكتب العلمية.

محمد بوعزة. (2001). تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم. الجزائر: منشورات الاختلاف.

محمد رياض وتار. (2000). شخصية المثقف في الرواية العربية السورية. سوريا: اتحاد الكتاب العرب.

نبيل سفيان صالح. (2004). المختصر في الشخصي والإرشاد النفسي. مصر: إيتراك للنشر والتوزيع.

يمنى العيد. (2011). الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية. بيروت: دار الفارابي.